

## الفصل الثالث

### الكتابة فى العصر الإسلامى

#### مقدمة :

عرفنا فى الفصل السابق أن الكتابة كانت معروفة عند العرب فى العصر الجاهلى، وقد ذكر القرآن ذلك فى بعض آياته، يقول سبحانه حكاية عن المشركين: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان : ٥].

الآية تبين أن أهل الجاهلية كانوا على علم بتاريخ الأمم السابقة وأخبارها، وكانوا يدونون تلك الأساطير ويملونها فى مجالسهم؛ فالنضر بن الحارث كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه فى مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم السنديد، وعن اسبنديار، وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً منى، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها<sup>(١)</sup>.

ويحدثنا القرآن الكريم عن العرب وهم بصدد إنكارهم لرسالة الإسلام قد طالبوا رسول الله ﷺ بأن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرءونه، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ كُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا

(1) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ .

زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ  
 زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا  
 نَقْرَأُهُ .... ﴿[الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

ويبين القرآن الكريم أن هؤلاء المنكرين لو نزل عليهم الكتاب الذى يطلبونه  
 ما آمنوا قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ  
 لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

وجاء في شعر الشعراء الجاهلين تشبيهات يشبهون فيها الأطلال ورسوم  
 الديار بالكتابة ونقوشها ، من ذلك قول لبيد بين ربيعة في مطلع معلقته [الكامل]:  
 عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا      بِمَنَى تَابَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا  
 فَمَدْفَعُ الرِّيَانِ عَرِّيَ رَسْمُهَا      خَلَقًا كَمَا ضَمَّنَ الوَحْيِ سَلَامُهَا

يشبه لبيد في البيت الثانى آثار المنازل بكتاب في حجارة؛ لأن " الوحي هو  
 الكتاب، يقال: وحيت أحى وحيًا: إذا كتبت قال الله عز وجل: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ  
 أَنْ سَبِّحُوا﴾ [مريم: ١١] أراد: كتب لهم، قال الشاعر: [الوافر]:  
 كَوَّحِي صَحَائِفَ مِنْ عَهْدِ كَسْرَى      فَأَهْدَاهَا لِأَعْجَمَ طَمْطَمِيَّ

وقال جرير : [الوافر]:

كَأَنَّ أَخَا الْيَهُودِ يَخْطُ وَحِيًّا      بَكَافٍ فِي مَنَازِلِهَا وَوَلَامِ

أراد: يكتب كتاباً " (١) .

ويقول في البيت الثامن من معلقته :

وَجَلَّا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا

معناه: كشفت السيول التراب عن الطلول كأنها زُبرٌ أى كتب لأن الزُبر جمع

زبور وهو الكتاب، (تجد متونها أقلامها) أى يعاد عليها الكتاب بعد أن درست (٢) .

وبالرغم من معرفة العرب للكتابة في العصر الجاهلي لكنها لم تكن منتشرة بين

كثير منهم، فمما يذكره المؤرخون أن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً

يكتبون، وفي الأوس والخزرج أحد عشر رجلاً (٣) ، وقد أجمعت كتب السيرة على

أن رسول الله ﷺ جعل فداء أسرى قريش يوم بدر أن الواحد منهم يعلم عشرة من

صبيان المسلمين القراءة والكتابة (٤) .

### جمع القرآن ورسمه :

لما ظهر الإسلام بدأت الكتابة تزدهر وتنتشر ، حيث حث الإسلام على تعلم

الكتابة والقراءة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

[العلق: ١ - ٥] ، وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم : ١] ، وفي

القرآن الكريم أمر بكتابة الدين، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ

(1) شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ص ٥١٩ .

(2) انظر : شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(3) انظر : المخطوط العربي ص ٥٠ .

(4) انظر : طبقات ابن سعد ٢ / ١٤ ، والمخطوط العربي ص ٥٠ .

بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴿البقرة: ٢٨٢﴾ .

وفي أحاديث النبي ﷺ حث على الكتابة، فقال ﷺ: " قيدوا العلم بالكتاب" <sup>(١)</sup> .  
وقد اتخذ النبي ﷺ بضعة كتاب يكتبون الوحي والرسائل والعهود؛ منهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان زيد من ألزم الناس لذلك، ثم تلاه معاوية بعد الفتح، فكانا ملازمين الكتابة بين يدي الرسول ﷺ في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك <sup>(٢)</sup> .

وقد حظى القرآن الكريم " بأوفي نصيب من عناية النبي ﷺ وأصحابه فلم تصرفهما عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه، ولكن بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم " <sup>(٣)</sup> .

وكان النبي ﷺ يدل كتاب الوحي على موضع المكتوب من سورتها، ويكتبونه فيما يسهل عليهم من العُسْب <sup>(٤)</sup>، واللخاف <sup>(٥)</sup>، والرقاع <sup>(٦)</sup>، وقطع الأديم <sup>(٧)</sup>، وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ .

(١) الطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرک عن ابن عمرو .

(٢) انظر : الخط والكتابة في الحضارة العربية ص ٤٢ .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١ / ٢٤٦ .

(٤) العُسْب : بضم العين والسين : جمع عسيب ، وهو جريد النخل المستقيمة يكشط خصوصها . انظر : الوجيز [ع س ب] ص ٤١٨ .

(٥) اللخاف : بكسر اللام : جمع لُخْفَة ، بفتح اللام وسكون الخاء : الحجارة الرقيقة .

(٦) الرقاع : جمع رُقْعَة ، قد تكون من الجلد أو الورق .

(٧) الأديم : الجلد .

وانتهى العهد النبوى والقرآن مجموع على هذا النحو، بيد أنه لم يكتب في صحف ولا مصاحف، بل كتب منشوراً بين الرقاع والعظام ونحوها.

ولما تولى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - أمر الخلافة واجهته أحداث شداد ومشاكل صعب، منها موقعة اليمامة سنة اثنتى عشرة من الهجرة التى استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن ينتهى عددهم إلى السبعين، وأمهات بعضهم إلى خمسمائة<sup>(١)</sup>، هال ذلك المسلمين، وعز الأمر على عمر - رضى الله عنه - فدخل على أبي بكر، وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ، وقتل القراء، فتردد أبو بكر أول الأمر، ولكنه بعد مفاوضة بينه وبين عمر تجلى وجه المصلحة، فافتنع بصواب الفكرة، وأنها ليست من محدثات الأمور الخارجة بل هى مستمدة من القواعد التى وضعها الرسول ﷺ بتشريع كتابة القرآن.

اهتم أبو بكر بموضوع جمع القرآن فانتدب لذلك رجلاً اجتمعت فيه صفات ثلاث: كان من حفاظ القرآن، ومن كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن.

يحكى زيد بن ثابت ما حدث معه فيقول: " أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة (أى عقب استشهاد القراء السبعين في واقعة اليمامة) فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر - رضى الله عنه - : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ (أى اشتد) يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى إن استحرَّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل

شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نهتمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ففتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن! قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - فتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر - رضى الله عنها - <sup>(١)</sup>.

وفي عهد سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - اتسعت الفتوح واستبحر العمران، وتفرق المسلمون في الأمصار " وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام، يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة؛ فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن... واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضاً، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ولم يقف هذا الطغيان

(1) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩ / ١٢ ، ١٣ - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن - رقم

عند حد، بل كاد يلفح بناره جميع البلاد الإسلامية حتى الحجاز والمدينة، وأصاب الصغار والكبار على سواء" <sup>(١)</sup>.

لما رأى سيدنا عثمان هذا الأمر قد استفحل جمع أعلام الصحابة وذوى البصر منهم، واستشارهم فى هذا الأمر، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف يرسل منها إلى الأمصار، وأن يحرق الناس كل ما عداها، وقد عهد عثمان بن عفان إلى أربعة من خيرة الصحابة، وثقات الحفاظ، وهم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فى نسخ لمصاحف.

روى البخارى بسنده أن أنس بن مالك حدثه " أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلنى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان

الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق" (١).

وقد اختلف العلماء في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة، قال ابن أبي داود: "سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتبت سبعة مصاحف إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا" (٢).

والراجح أن عدد المصاحف خمسة لا سبعة؛ لأن سيدنا عثمان أرسل مع كل مصحف قارئًا، فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدينة، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد القيس مع البصري (٣).

بهذا العمل الجليل والمهم في تاريخ القرآن أخذ المصحف شكله الموحد في الرسم والترتيب، وصار كل مصحف أرسله الخليفة من المدينة إمامًا يقتدى به أهل البلدة التي أرسل إليها ومن حولها، وصارت تلك المصاحف تعرف بالمصاحف العثمانية نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وصار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني، وهذه المصاحف هي أصل لكل المصاحف الموجودة اليوم. وقد حافظ المسلمون على رسم الكلمات في المصحف كما هي في المصاحف العثمانية الأولى، حتى لو كان في بعضها مخالفة لما اصطاح عليه علماء العربية بعد

(1) فتح الباري ٩ / ١٣ - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن رقم (٤٩٨٧) .

(2) فتح الباري ٩ / ٢٥ .

(3) انظر : مع القرآن الكريم في رسمه وخطه وأحكام تلاوته - د / شعبان محمد إسماعيل ص ٢٢ .

ذلك من قواعد إملائية " قال أشهب: سئل مالك - رحمه الله - هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى، رواه أبو عمرو الداني في المقنع، ثم قال: ولا مخالف له من علماء الأمة.

وقال في موضع آخر: سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف: أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك؟ فقال: لا، قال أبو عمرو: يعنى الواو والألف المزيدين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو: الواو في (أولوا الألباب)، و (أولات)، و (الربوا) ونحوه.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك" <sup>(١)</sup>. وقال البيهقي في شعب الإيمان: " من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبه شيئاً، فإنهم أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استندراكاً عليهم" <sup>(٢)</sup>.

ورسم الكلمات في المصاحف العثمانية يرجع في الأصل إلى ما كان مرسومًا في الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة أبي بكر - رضى الله عنه - وهذه ترجع أيضاً إلى ما كتب في الرقاع بين يدي النبي ﷺ.

ورسم المصحف بذلك يمثل الكتابة العربية في عصر ظهور الإسلام، وهو يحمل خصائص تلك الكتابة، من هذه الخصائص المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ما يأتي <sup>(٣)</sup>:

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٧٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٧٩ .

(٣) انظر: موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة - د / غانم قدورى حمد ص ٣٩ - ٤٢ ، والخط

والكتابة في الحضارة العربية ص ٧٠ .

١ - خلو الكتابة من الشكل والنقط: فقد جاءت الكتابة غير مشكولة، ولا منقوطة.

٢ - حذف الألف في وسط الكلمة: من الظواهر الكتابية في رسم المصحف حذف الألف الواردة في وسط الكلمة في كثير من الأحيان، ففي سورة الفاتحة وحدها الكلمات الآتية: (الرحمن = الرحمان) و(العلمين = العالمين)، و(ملك = مالك)، و(الصرط = الصراط)، والأمثلة على نحو ذلك كثيرة. وبالرجوع إلى النقوش العربية القديمة نجد أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة برسم المصحف، وإنما كانت إحدى خصائص الكتابة العربية في ذلك الوقت؛ فمن الأمثلة على ذلك في النقوش العربية الجاهلية (التج = التاج)، و(نجرن = نجران) في نقش النمارة، و(إبرهيم = إبراهيم)، و(الحرث = الحارث)، و(سليمن = سليمان) في نقش جبل أسيس، و(شرحيل = شرحيل)، و(ظلمو = ظالم)، و(بعم = بعام) في نقش حران. وقد استمرت هذه الظاهرة بعد رسم المصحف كما تدل على ذلك النقوش العربية الإسلامية، وذلك مثل: (هذا = هاذا)، و(الكتب = الكتاب)، و(جمدى = جمادى)، و(ثلثين = ثلاثين) في نقش القاهرة، و(معوية = معاوية)، و(ثمن = ثمان) في نقش الطائف، و(سبحن = سبحان)، و(لثبت = لثابت)، و(العلمين = العالمين)، و(الكتب = الكتاب) في نقش حفنة الأبيض.

ويرجع أصل هذه الظاهرة إلى الكتابة النبطية التي انحدرت منها الكتابة العربية.

## ٣ - رسم تاء التأنيث :

من الظواهر الكتابية التي تميز بها رسم المصحف أن تاء التأنيث جاءت مرسومة تاء مبسوطة أحياناً، وجاءت مرسومة غير مبسوطة (هاء) أحياناً أخرى، مثل : (رحمت : رحمة)، و (نعمت : نعمة)، و(كلمت : كلمة). وهذه الظاهرة كانت موجودة في الكتابة العربية قبل رسم المصحف، كما تدل على ذلك النقوش العربية القديمة؛ ففي نقش النمارة: (مدينة = مدينة، سنت = سنة)، وفي نقش جبل أسيس: (سنت = سنة) وكذلك في نقش حران.

" ويبدو أن التوجه إلى كتابة تاء التأنيث هاء كان قد بدأ قبل الإسلام بعشرات السنين، فوجد في نقش جبل أسيس كلمة (مغيرة ، ومسلحة) مكتوبتين بالهاء، وكتبت كلمة (سنة) بالتاء في النقش ذاته. وهذا يفسر لنا طريقة رسم المصحف في كتابة هذا النوع من الكلمات، بالتاء أحياناً، وبالهاء أخرى، وبدأت ظاهرة كتابة تاء التأنيث بالتاء المبسوطة تختفي تدريجياً حتى زالت تماماً من الكتابة العربية " (١).

٤ - تفريق حروف الكلمة الواحدة في السطر والذي يليه: وقد وجد هذا في رسم المصحف، وفي النقوش العربية الإسلامية، أما النقوش العربية قبل الإسلام، فلم يوجد فيها لقصرها، وقلة كلماتها.

٥ - رسم الهمزة : الغالب في رسم المصحف هو رسم الهمزة على التسهيل.

وهنا يتبادر سؤال هل رسم المصحف توقيفي أو اصطلاحى ؟

رأى جمهور العلماء على أن رسم المصحف توقيفى، لا يجوز تغييره، وتحرم مخالفته، شأنه في ذلك شأن ترتيب سور القرآن وآياته، ولا يجوز لنا أن نقدم أو نؤخر منها شيئاً، ومن الأقوال التي تؤيد هذا الرأى إضافة إلى الأقوال التي ذكرتها قبل - ما نقله ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال له: " ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم المصحف ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبى، وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهمدى إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معظم، فرسمه أيضاً معجز ! وكيف تهمدى العقول إلى سر زيادة الألف في (مائة) دون (فئة) وإلى سر زيادة الياء في (بأييد، وبأيكم)؟ أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في (سعوا) بالحج، ونقصانها من (سعو) بسبأ، وإلى سر زيادتها في (عتوا) حيث كان، ونقصانها من (عتو) في الفرقان ؟ وإلى سر زيادتها في (آمنوا) وإسقاطها من (بأعو، جاءو، فاءو) بالبقرة ؟ وإلى سر زيادتها في (يعفوا الذى) ونقصانها من (يعفو عنهم) في النساء ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض، كحذف الألف من (قرآنا) بيوسف والزخرف، وإثباتها في سائر المواضع، وإثبات الألف بعد واو (سموات) في فصلت، وحذفها من غيرها، وإثبات الألف في (الميعاد) مطلقاً، وحذفها من الموضع الذى في الأنفال، وإثبات الألف في (سراجاً) حيثما وقع، وحذفه من موضع الفرقان ؟ وكيف تتوصل إلى فتح بعض النئات وربطها في البعض.

فكل ذلك لأسرار إلهية، وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس؛ لأنها أسرار باطنة لا تدرك إلا بالفتح الرباني بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة، ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتمون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها! فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف .... " (١).

ومن العلماء الذين ذكروا الحكم والأسرار للنزائد في الرسم القرآني واخذوف وما كتب على لفظه أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء (المتوفى ٧٢١ هـ) في كتابه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) حيث بين أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها.

وقد نقل هذه المعاني الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) (٢) أنقل جزءاً منها :

### أولاً : الزيادة :

أ - زيادة الألف : وهي إما أن تزداد في أول الكلمة أو في آخرها، أو في

وسطها، فالأولى تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود، مثل: ﴿لَا

أَذْبَحْنَهُ﴾ [النمل: ٢١]، زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من

(1) مناهل العرفان ١ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(2) انظر : البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٨١ - ٤٣١ .

المقدم عليه لفظاً؛ فالذبح أشد من العذاب<sup>(١)</sup>. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا

مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ﴾ [يوسف : ٨٧]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْ

يِسْ﴾ [الرعد: ٣١]، السبب في الزيادة لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من

الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار.

والثاني زيادة الألف في آخر الكلمة: ويكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة

يحصل في الوجود، لزيادتها بعد الواو في الأفعال، نحو (يرجوا، ويدعوا) وذلك لأن

الفعل أثقل من الاسم؛ لأنه يستلزم فاعلاً، فهو جملة، والاسم مفرد لا يستلزم

غيره، فالفعل أزيد من الاسم في الوجود، والواو أثقل حروف المد واللين، والضممة

أثقل الحركات، والمتحرك أثقل من الساكن، فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة،

وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل، فمع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى؛

لأن الكلمة جملة، مثل: (قالوا، وعصوا) إلا أن يكون الفعل مضارعاً وفيه النون

علامة الرفع، فتختص الواو بالنون التي هي من جهة تمام الفعل؛ إذ هي إعرابه

فيصير ككلمة واحدة وسطها واو؛ كالعيون، والسكون، فإن دخل ناصب أو

جازم مثل: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة : ٢٤] تثبت الألف.

وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل، نحو: ﴿سَعَوْ فِي آيَاتِنَا

مُعَاجِزِينَ﴾ [سبأ : ٥] فإنه سعى في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود.

(١) إشارة إلى أول آية النمل: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ﴾ .

وكذلك: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف : ١١٦]، و ﴿جَاءُوا ظُلْمًا  
وَزُورًا﴾ [الفرقان : ٤]، و ﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ﴾ [يوسف : ١٦]، و ﴿وَجَاءُوا  
عَلَى قَمِيصِهِ﴾ [يوسف : ١٨] فإن هذا الجيء ليس على وجهه الصحيح.

وكذلك: ﴿فَإِنْ فَاوْءُ﴾ [البقرة : ٢٢٦]، وهو فى بالقلب والاعتقاد،  
وكذلك ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر : ٩] اختاروها سكنًا لكن  
على الجهة المحسوبة؛ لأنه سوى بينهما، وإنما اختاروها سكنًا لمرضاة الله، بدليل  
وصفهم بالإيثار مع الخصاصة؛ فهذا دليل زهدهم فى محسوسات الدنيا، وكذلك  
(فاوء) لأنه رجوع معنوى.

وكذلك ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ [النساء : ٩٩] حذف ألفه لأن  
كيفية هذا الفعل لا تدرك؛ إذ هو ترك المؤاخذة، إنما هو أمر عقلى.

الثالث: زيادة الألف فى وسط الكلمة: وتكون لمعنى فى نفس الكلمة ظاهر  
مثل: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر : ٢٣] زيدت الألف دليلاً على أن هذا  
الجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود الجيء، وقد عبر عنه بالماضى،  
ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله، فيستوى فى علمنا ملكها وملكوتها فى  
ذلك الجيء، ويدل عليه قوله تعالى فى موضع آخر: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾  
[الشعراء : ٩١] وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا  
وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان : ١٢]، هذا بخلاف حال: ﴿وَجِيءَ بِالتَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾

[الزمر : ٦٩] حيث لم تكتب الألف؛ لأنه على المعروف في الدنيا، وفي تأوله بمعنى البروز في الخشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضاً.

وكذلك: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]،

الشيء هنا معدوم، وإنما علمناه من تصور مثله الذي وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه، من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود، فزيدت الألف تسيبها على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود، إذ هو موجود في الأذهان، معدوم في الأعيان. وهذا بخلاف قوله في النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل: ٤٠] فإن الشيء هنا من جهة قول الله، لا يعلم كيف ذلك، بل تؤمن به تسليماً لله سبحانه فيه، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا، فلا تشبيه ولا تعطيل.

**ب - زيادة الواو :** زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في

أعظم رتبة في البيان، مثل: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، و﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنبياء : ٣٧]، ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد. وكذلك (أولى، وأولوا، وأولات) زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على (أصحاب) فإن في (أولى) معنى الصحبة وزيادة التملك والولاية عليه، وكذلك زيدت في (أولئك، وأولئكم) حيث وقعا بالواو؛ لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود، وليس للفرق بينه وبين (أولئك) كما قاله قوم؛ لانتقاضه بأولاً.

**ج - زيادة الياء :** زيدت لاختصاص ملكوتى باطن، وذلك في تسعة

مواضع<sup>(١)</sup>، قال أبو العباس المراكشى: إنما كتبت (بأييد) بياءين فرقا بين (الأييد) الذى هو القوة، وبين (الأيدي) جمع (يد)، ولاشك أن القوة التى بنى الله بها السماء هى أحق بالثبوت فى الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر فى إدراك الملكوتى فى الوجود.

وكذلك زيدت بعد الهمزة فى حرفين: ﴿أَفَايِن مَّاتٌ﴾ [آل عمران : ١٤٤]،

و ﴿أَفَايِن مَّتٌ﴾ [الأنبياء : ٣٤]، وذلك لأن موته مقطوع به، والشرط لا يكون مقطوعاً به، ولا ما رتب على الشرط هو جواب له، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره، ولا رجوعه عن الحق، فتقديره: أهم الخالدون إن مت؟ فاللفظ للاستفهام والربط والمعنى للإنكار والنفى، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى الظاهر للفهم، الباطن فى اللفظ.

**ثانياً : الحذف :**

**أ - حذف الألف :**

كل ألف تكون فى كلمة لمعنى له تفصيل فى الوجود، له اعتباران: **اعتبار**

**من جهة ملكوتية**، أو صفات حالية، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس، فإن

(١) آل عمران ١٤٤ ، والأنعام ٣٤ ، ويونس ١٥ ، والنحل ٩٠ ، وطه ١٣٠ ، والأنبياء ٣٤ ، والشورى

الألف تحذف في الخط علامة لذلك، **واعتبار من جهة ملكية حقيقة** في العلم، أو أمور سفلية، فإن الألف تثبت.

واعتبر ذلك في لفظي القرآن والكتاب؛ فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل، قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ٣]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، ولذلك ثبت في الخط ألف القرآن، وحذفت ألف الكتاب.

وقد حذفت ألف القرآن في حرفين، هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف : ٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف : ٣] والضمير في الموضوعين ضمير الكتاب المذكور قبله، وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما: (لعلكم تعقلون) فقرينته هي من جهة المعقولية، وقال في الزخرف: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف : ٤]. وكذلك كل ما في القرآن من الكتاب وكتاب فبغير ألف، إلا في أربعة مواضع هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي:

**الموضع الأول** : قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] فإن هذا

(كتاب) الآجال فهو أخص من الكتاب المطلق، أو المضاف إلى الله.

**والموضع الثاني :** قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ

مَعْلُومٌ﴾ [الحجر : ٤] فإن هذا (كتاب) إهلاك القرى، وهو أخص من كتاب الآجال.

**والموضع الثالث :** قوله تعالى: ﴿وَآتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ﴾

[الكهف : ٢٧] فإن هذا أخص من (الكتاب) الذى فى قوله: ﴿آتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ﴾ [العنكبوت : ٤٥] لأنه أطلق هذا، وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنى فى الوجود، والأخص أظهر تنزيلاً.

**والموضع الرابع :** قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾

[النمل : ١] هذا الكتاب جاء تابعاً للقرآن، والقرآن جاء تابعاً للكتاب كما جاء فى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر : ١]، فما فى النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلى فهو تفصيل للكتاب الكلى، بجوامع كليته.

## ب - حذف الواو :

تحذف الواو اكتفاء بالضمة قصداً للتخفيف، فإذا اجتمع واوان والضم، فتحذف الواو التى ليست عمدة، وتبقى العمدة، سواء كانت الكلمة فعلاً، مثل: ﴿لَيْسُوا وَا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء : ٥] أو صفة مثل: (الموءوءودة، لئسوس، والغاون)، أو اسماً مثل: (داود) إلا أن ينوى كل واحد منهما فثبتان جميعاً، مثل: (تبوءوا) فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام، فنويت فى الكلمة،

والواو الثانية ضمير الفاعل، فثبتا جميعاً. وقد سقطت من أربعة أفعال تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق : ٨] فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش، وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه، وحذف آخره، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى : ٢٤] حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق، وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١]، وليس (يمح) معطوفاً على (يختم) الذى قبله؛ لأنه ظهر مع (يمح) الفاعل، وعطف على الفعل ما بعده، وهو (ويحق الحق).

أما رسم الواو في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] وحذفها في: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] فلأن الإثبات الأصل وإنما حذفت في الثانية لأن الذى قبله مجزوم، وإن لم يكن معطوفاً عليه، لأنه قد عطف عليه (ويحق) وليس مقيداً بشرط، ولكن قد يجيء بصورة العطف على المجزوم، وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو، والله أعلم .

والثالث: قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء : ١١] حذفت الواو يدل على أنه سهل عليه، ويسارع فيه، كما يعمل في الخير، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

والرابع: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ [القمر : ٦] حذف الواو لسرعة الدعاء، وسرعة الإجابة.

### ج - حذف الياء :

تحذف الياء اكتفاء بالكسرة نحو (فارهبون، فاعبدون) قال أبو العباس المراكشي: الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيهما، فالأول هو باعتبار ملكوتى باطن، وينقسم قسمين: ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة.

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم، مثل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر : ١٦] ثبتت الياء الأولى؛ لأنه فعل ملكوتى، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾ [النمل : ٣٦] حذف الياء لاعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة، فهو المؤتى الملكوتى من قبل الآخرة، وفي ضمنه الجسماني للدنيا؛ لأنه فان، والأول ثابت.

وكذلك قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود : ٤٦]، وعلم هذا المسئول غيب ملكوتى، بدليل قوله (ما ليس لك به علم) فهو بخلاف قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : ٧٠]؛ لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد، كحرق السفينة: ﴿قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف : ٧٢]، وقتل الغلام: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف : ٧٤]، وإقامة الجدار: ﴿فَوَجَدَا

فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾  
[الكهف : ٧٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ﴾ [البقرة : ١٨٦]  
حذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص  
الباطن.

والقسم الثاني من الضرب الأول: إذا كانت الياء لام الكلمة سواء كانت في  
الاسم أو الفعل، نحو ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة : ١٨٦] حذفت تنبيهًا  
على المخلص لله الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة لا في الدنيا.

وكذلك: ﴿الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ [القمر : ٦] هو داع ملكوتي من عالم  
الآخرة.

وكذلك: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود : ١٠٥] هو إتيان ملكوتي أخروى آخره  
متصل بما وراءه من الغيب.

الضرب الثاني: الذي تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة، فهو اعتبار غيبة عن  
باب الإدراك جملة، واتصاله بالإسلام لله في مقام الإحسان، وهو قسمان: منه  
ضمير المتكلم، ومنه لام الفعل.

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم فإنها إن كانت للعبد فهو الغائب، وإن  
كانت للرب فالغيبة للمذكور معها، فإن العبد هو الغائب عن الإدراك في ذلك  
كله، فهو في هذا المقام مسلم مؤمن بالغيب مكثف بالأدلة، فيقتصر في الخط لذلك  
على نون الوقاية والكسرة، ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال

بالآيات دون التعرض لصفة الذات، ولما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال، واعتبار الآيات، وضرب المثال دون التعرض لصفة الذات كما قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران : ٢٨]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] كان الحذف في خواتم الآي كثيراً، مثل: ﴿فَاتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٤١]، ﴿فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة : ٤٠]، و﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]، و﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [الذاريات : ٥٧] وهو كثير جداً.

والقسم الثاني: إذا كانت الياء لام الكلمة في الفعل أو الاسم، فإنها تسقط من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً، فيكون حذف الياء منبهاً على ذلك، وإن لم يكن اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب، مثل: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ١٤٦] هو: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف : ٧١]، وقد ابتداء ذلك لهم في الدنيا متصلاً بالآخرة.

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذي هو لام فعل، فيحذف تنبيهاً على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله، مثل: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً﴾ [القيامة : ٣٧] حذف النون تنبيهاً على مهانة مبتداء الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثم يترقى في أطوار التكوين ﴿فَإِذَا هُوَ

خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿يس : ٧٧﴾ فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون، كل مرتبة ينتهى إليها كونه هى ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها؛ فالوجود الدنيوى كله ناقص الكون عن كون الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت : ٦٤].

هذا، وقد استقصى المراكشى المواضع التى فيها حذف، وذكر دلالتها، والمواضع التى فيها زيادة وذكر دلالتها، والمواضع التى فيها إبدال وذكر دلالتها، والمواضع التى فيها وصل، والمواضع التى فيها فصل وذكر دلالة كل مما يدل على أن الرسم القرآنى توقيفى له دلالاته ، وليس اصطلاحياً كما ذكر بعض العلماء. والله تعالى أعلى وأعلم .

### الشكل والإعجام :

لم تكن الكتابة العربية فى الجاهلية منقوطة ولا مشكولة؛ لعدم حاجة العرب فى الجاهلية، وفى الصدر الأول من الإسلام إلى هذه الضوابط لمكانهم من العريية؛ فكانوا يقرءون الكتابة قراءة صحيحة معتمدين على سياق الكلام، وما يقتضيه المقام ودلالة السوابق واللواحق. ولما انتشر الإسلام واختلط العرب بالأعاجم، وتناسلوا معهم ظهر جيل جديد فشا اللحن فى كلامه، وخيف على القرآن الكريم أن يتطرق إليه اللحن، فعملوا على صيانة القرآن الكريم ولغته.

وقد روى فى ذلك عدة روايات، منها ما رواه أبو عمرو الدانى عن أبي بكر الأنبارى قال: " حدثنا أبو عكرمة قال: قال العتبي: كتب معاوية إلى زياد بن أبيه والى البصرة، أن يرسل إليه ولده عبيد الله بن زياد ، فلما قدم عليه، وكلمه معاوية وجده يلحن، فرده إلى أبيه، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه على وقوع ابنه فى اللحن

والخطأ. فبعث زياد إلى أبي الأسود الدؤلي (المتوفى ٦٩ هـ) فقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء (أى الأعاجم) قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله تعالى، فأبى ذلك أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مر بك فاقراً شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ: (أن الله برئ من المشركين ورسوله)<sup>(١)</sup>، [قرأها بجر (ورسوله) مع أنها مرفوعة]، فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: رجلاً، فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ المصحف حتى أتى على آخره " <sup>(٢)</sup> . وقد أخذ الناس طريقة أبي الأسود، وشكلوا بها الحروف، فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحته، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسرتة، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته، ولا يضعون شيئاً على الحرف الساكن، وإذا كان الحرف منوئاً يضعون

(١) التوبة : ٣ .

(٢) المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني ص ٣ ، ٤ ، وانظر : الفهرست ص ٦٣ ، ٦٤ ، وقصة الكتابة العربية

ص ٥١ ، ٥٢ ، ومع القرآن الكريم ص ٣٢ ، ٣٣ ، والمخطوط العربي ص ٧٨ ، ٧٩ .

نقطتين فوّه أو تحتّه أو عن شماله. " وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً؛ لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، ولم تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن الكريم، أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً؛ لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم، قال بعضهم: شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه، ومن الناس من كان ينفر من الشكل بهذه الطريقة لقبح منظره، وقد عرض مرة على عبد الله بن طاهر كتاب مشكول، وكان خطه جميلاً فقال: ما أحسن هذا الخط لولا كثرة شونيزه، والشونيزة الحبة السوداء " (١).

كان هذا النقط الذى وضعه أبو الأسود الدؤلى هو الإصلاح الأول للكتابة العربية بقصد ضبطها، وحفظ كتاب الله عز وجل من أن يتسرب إليه اللحن. والإصلاح الثانى للكتابة العربية تم فى خلافة عبد الملك بن مروان؛ فقد ظل المسلمون يقرءون فى مصحف عثمان نيّفاً وأربعين سنة، ثم كثر اللحن، وانتشر على كثير من الألسن والأفواه، ووقع الناس فى التصحيف (٢)، فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى واليه على العراق أن يعمل جاهداً على إبعاد أسباب اللحن والتصحيف عن القرآن الكريم.

والسبب فى اختيار الحجاج لهذه المهمة أنه كان والى العراق، والعراق فى ذاك الوقت كانت موطن العلم والعلماء، فانتدب الحجاج لهذه المهمة عالين جليلين هما: يحيى بن يعمر العدوانى، ونصر بن عاصم الليثى تلميذى أبى الأسود الدؤلى؛ لما لهما

(١) الخطاطة ص ٥٦ .

(٢) التصحيف : هو تغيير نقط الحروف المتماثلة فى الشكل ، كالباء والتاء والفاء والنون والياء ، والجيم والحاء والحاء ، والذال والذال ، والراء والزى ، والسين والشين ، والصاد والصاد ، والعين والغين ، والفاء والقاف . انظر :

من يد طولى في فهم أسرار العربية، وإتقان فنون القراءات فقاما بنقط الحروف المتشابهة في الرسم للتمييز بينها، وكتبت هذه النقط بنفس المداد الذى كتب به المصحف؛ حتى يكون مخالفاً لنقط أبي الأسود الدؤلى<sup>(١)</sup>.

والفرق بين نقط أبي الأسود، ونقط يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم أن نقط أبي الأسود نقط إعراب، ونقط يحيى ونصر نقط إعجام.

وبذلك وجد للمصحف نقطان، وهما متعبان للكاتب والقارئ على السواء، وفي الوقت نفسه مدعاة لاختلاط الكتابة على القراء، ومن أجل هذا كان لابد من عملية تيسير للكتابة العربية، فكانت المرحلة الأخيرة من مراحل تطورها، وهى التى تمت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى ١٧٥ هـ) فى العصر العباسى الأول، الذى اضطلع بمهمة تغيير نقط أبي الأسود الدؤلى بأن جعله حركات يقول المبرد: " الشكل الذى فى الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واو صغيرة الصورة فى أعلى الحرف، لثلاث تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبسوطة فوق الحرف"<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتف الخليل بن أحمد بوضع هذه الرموز للحركات القصيرة فحسب، بل إن كثيراً من الرموز الأخرى، التى نستخدمها فى الكتابة إلى يومنا هذا من صنعه كذلك، مثل: رمز السكون ( > ) وهو عبارة عن رأس خاء صغيرة اختصاراً من كلمة (خفيف)، بمعنى غير محرك، وكذلك رمز الشدة ( - )، وهو مختصر من كلمة (شديد)، ورمز الهمزة ( ء ) وهو مقتطع من رأس العين؛ ولذلك يسمى فى بعض

(١) انظر: اخكم فى نقط المصاحف ص ٨٧، ومع القرآن الكريم ص ٣٣، ٣٤.

(٢) اخكم فى نقط المصاحف للدان ص ٧، وانظر: فصول فى فقه العربية ص ٤٠٠، ٤٠١.

الأحيان (القطعة)، ولعله اقتطعه من العين لقرب الهمزة من العين في المخرج، ولألف الوصل صاد ( ص )، وللمد الواجب ميم صغيرة مع جزء من الدال، وهكذا وضع الخليل ثمانى علامات: الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والمدة وعلامة الصلة والهمزة. وصار الكاتب يجمع بين شكل الكتاب ونقطة بلون واحد دون لبس بينهما<sup>(١)</sup>.

ومع التطور الكتابي الذى وضعه الخليل وجد من الكتاب من يلتزم الطريقة القديمة فى كتابة المصحف، ويتحرج من إدخال أى تعديل على صورة الكتابة القديمة، وفى هذا يقول أبو عمرو الدانى: " وترك استعمال شكل الشعر - وهو الشكل الذى فى الكتب، والذى اخترعه الخليل - فى المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق، اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين، واتباعاً للأئمة السالفين "<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن حميد الكاتب: " لأن يُشكل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكاتب بالشكل "<sup>(٣)</sup>.

ومن الكتاب من رغب فى الشكل، وحث عليه؛ لما فيه من البيان والضبط والتقييد، " قال هشام ابن عبد الملك: اشكلوا قرائن الآداب؛ لئلا تند عن الصواب.

(١) انظر: الحكم فى نقط المصاحف ص ٤٩ ، ٥٢ ، ١٤٩ ، وفصول فى فقه العربية ص ٤٠٢ ، وقصة الكتابة العربية ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) الحكم فى نقط المصاحف ص ٢٧ ، وانظر: المخطوط العربى ص ٨٨ .

(٣) صبح الأعشى ٣ / ١٦١ .

وقال على بن منصور: حلُّوا غرائب الكلم بالتقييد، وحصنوها عن شُبّه  
التصحيف والتحريف<sup>(١)</sup>.

ويقال: إعجام الكتب يمنع من استعجامها، وشكلها يصونها عن إشكالها<sup>(٢)</sup>.  
وقد رخص جماعة في نقط المصاحف بالإعراب، " منهم: ربيعة بن عبد الرحمن  
وابن وهب، وصرح الشافعية - رضى الله عنهم - بأنه يندب نقط المصحف  
وشكله؛ أما تجريد الصحابة - رضوان الله عليهم - له من ذلك، فذلك حين  
ابتداء جمعه حتى لا يدخلوا بين دفتي المصحف شيئاً سوى القرآن، ولذلك كرهه  
من كرهه"<sup>(٣)</sup>.

(1) التحريف: هو تغيير في شكل الحروف المتشابهة في الرسم، كالبدال والراء، والبدال واللام، والنون والزاي،  
والميم والقاف، وما إلى ذلك. مناهج تحقيق التراث ص ١٢٤.

(2) صبح الأعشى ٣ / ١٦١.

(3) صبح الأعشى ٣ / ١٦٢.